

مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(المُحَاضَرَةُ السَّادِسَةُ عَشْرَةَ)

مِنْ مَادَّةِ

[شَرْحُ الْحَائِيَّةِ

فِي اعْتِقَادِ الْفِرْقَةِ النَّاجِيَةِ]

www.menhag-un.com

تَبَيَّنَ فِرْقَ الْمُرْجِيَّةِ

قَالَ النَّازِمُ رَضِيَ اللَّهُ فِي مَنْظُومَتِهِ (الْحَائِيَّةِ فِي أُصُولِ الْإِعْتِقَادِ):

أَلَا إِنَّمَا الْمُرْجِيُّ بِالَّذِينَ يَمْنَحُ
 وَقُلْ: إِنَّمَا الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ
 وَفَعَلٌ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصْرَحٌ
 وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً
 بِطَاعَتِهِ يَنْمِي وَفِي الْوِزْنِ يَرْجَحُ

وَلَا تَكُ مُرْجِيًّا: أَيُّ مُرْجِيًّا، تُخْرِجُ الْأَعْمَالَ مِنْ مُسَمَّى الْإِيمَانِ، وَمِنْهُمْ
 مُرْجِيَّةُ الْجَهْمِيَّةِ، وَمُرْجِيَّةُ الْكِرَامِيَّةِ، وَمُرْجِيَّةُ الْأَشَاعِرَةِ، وَمُرْجِيَّةُ الْفُقَهَاءِ، اشْتَرَكُوا
 جَمِيعًا فِي:

أَنَّ الْعَمَلَ لَيْسَ مِنْ مُسَمَّى الْإِيمَانِ، مَعَ الْفَرْقِ بَيْنَهُمْ فِي تَعْرِيفِ الْإِيمَانِ.

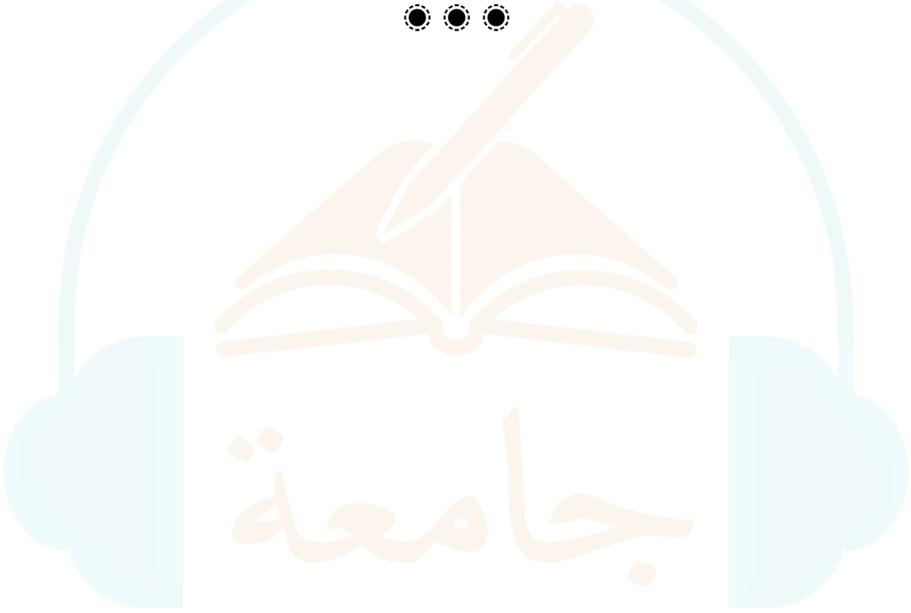
وَلَا تَكُ مُرْجِيًّا لِعُوبًا: فَعُولًا مِنْ لَعِبَ.

لِعُوبًا: هِيَ الْمَرْأَةُ الْحَسَنَةُ الدَّلَالِ.

اللَّعِبُ: الْهَزْلُ، وَعَدَمُ الْجِدِّ.

اللُّعُوبُ: الْهَازِلُ، غَيْرُ الْجَادِّ فِي أَمْرِهِ.

بِالَّذِينَ يَمْزِحُ: الْمَزَاحُ قَدْ يَكُونُ مُبَاحًا، وَقَدْ يَكُونُ مَكْرُوهًا، وَقَدْ يَكُونُ حَرَامًا؛ فَالْمَزَاحُ فِي دِينِ اللَّهِ مِنَ الْمُحَرَّمَاتِ الْمَنْهِيَّةِ عَنْهَا.



مِنْهَاجُ النَّبِيِّ

www.menhag-un.com

عَقِيدَةُ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي الْإِيمَانِ

يَقُولُ:

وَقُلْ: إِنَّمَا الْإِيمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ وَفِعْلٌ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصْرَحٌ
وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً

طَوْرًا وَتَارَةً: بِمَعْنَى وَاحِدٍ، وَالطَّوْرُ: الْحَدُّ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ، وَالْقَدْرُ أَيْضًا.

أَيُّ: يَنْقُصُ الْإِيمَانَ قَدْرًا مَا فِي مَرَحَلَةٍ، وَيَزِدَادُ قَدْرًا مَا فِي مَرَحَلَةٍ أُخْرَى.

يَنْبِئِي: أَيُّ: يَزِدَادُ وَيَكْبُرُ مِنَ النَّمَاءِ.

فِي الْوِزْنِ: أَيُّ: فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّ الْأَعْمَالَ تُوزَنُ كَمَا سَبَقَ الْكَلَامُ
عِنْدَ ذِكْرِ الْمِيزَانِ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ
يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿[الزلزلة: ٧-٨].

فَحَدَّرَ النَّاطِمُ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ مَقَالَةِ الْخَوَارِجِ، وَحَدَّرَ مِنْ مَقَالَةِ الْمُرْجِيَّةِ الَّذِينَ
جَعَلُوا الدِّينَ أَقْلًا مَا يَكُونُ، فَجَعَلُوا الْإِيمَانَ بِاللَّهِ قَدْ يَكُونُ تَارَةً الْمَعْرِفَةَ، وَتَارَةً
التَّصَدِيقَ بِالْقَلْبِ فَقَطُّ، أَوْ هُوَ قَوْلُ اللِّسَانِ فَقَطُّ، أَوْ قَوْلُ بِاللِّسَانِ وَتَصَدِيقُ
بِالْقَلْبِ فَقَطُّ، وَأَمَّا الْعَمَلُ بِالْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ فَهَذَا لَيْسَ مِنْ مُسَمَّى الْإِيمَانِ
عِنْدَهُمْ!!

وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَيَقُولُونَ: الْإِيْمَانُ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَاعْتِقَادٌ بِالْجَنَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ، وَيَتَفَاوَضُ أَهْلُهُ فِيهِ. هَذَا تَعْرِيفُ الْإِيْمَانِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «وَكَانَ الْإِجْمَاعُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِمَّنْ أَدْرَكْنَاهُمْ أَنَّ الْإِيْمَانَ: قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ، وَلَا يُجْزِي وَاحِدٌ مِنَ الثَّلَاثَةِ إِلَّا بِالْآخِرِ».

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ سُلَيْمٍ رَحِمَهُ اللهُ: سَأَلْتُ عَشْرَةَ مِنَ الْفُقَهَاءِ عَنِ الْإِيْمَانِ، فَقَالُوا: قَوْلٌ وَعَمَلٌ، سَأَلْتُ سُفْيَانَ الثَّوْرِيَّ، وَسَأَلْتُ ابْنَ جُرَيْجٍ، وَسَأَلْتُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ عُثْمَانَ، وَسَأَلْتُ الْمُثَنَّى بْنَ الصَّبَّاحِ، وَسَأَلْتُ نَافِعَ بْنَ عُمَرَ، وَسَأَلْتُ مُحَمَّدَ بْنَ مُسْلِمِ الطَّائِفِيِّ، وَسَأَلْتُ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ، وَسَأَلْتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ - يَعْنِي - فَقَالُوا جَمِيعًا: الْإِيْمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ».

قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ رَحِمَهُ اللهُ: «وَالْإِيْمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ، يَزِيدُ وَيَنْقُصُ».

وَقَالَ الْأَجْرِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «الشَّرِيعَةِ»: «اعْلَمُوا - رَحِمَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ - أَنَّ الَّذِي عَلَيْهِ عُلَمَاءُ الْمُسْلِمِينَ أَنَّ الْإِيْمَانَ وَاجِبٌ عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ، وَهُوَ تَصْدِيقٌ بِالْقَلْبِ، وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، ثُمَّ اعْلَمُوا أَنَّهُ لَا تُجْزِي الْمَعْرِفَةُ بِالْقَلْبِ وَالتَّصْدِيقُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَعَهُ الْإِيْمَانُ بِاللِّسَانِ نُطْقًا، وَلَا تُجْزِي مَعْرِفَةُ بِالْقَلْبِ، وَنُطْقُ بِاللِّسَانِ حَتَّى يَكُونَ عَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، فَإِذَا كَمَلَتْ فِيهِ هَذِهِ الثَّلَاثُ الْخِصَالُ كَانَ مُؤْمِنًا، دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْقُرْآنُ وَالسُّنَّةُ وَقَوْلُ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ».

فَهَذِهِ إِجْمَاعَاتُ السَّلَفِ - رَحِمَهُمُ اللَّهُ - وَمُسْتَنَدُهُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ.

دَلِيلُ الْقَلْبِ: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُلَّ لَمْ تَوْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤].

وَقَوْلُ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا: ﴿يَأْتِيهَا الرُّسُولُ لَا يَحْزُنكَ الَّذِينَ يُسْكَرُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا ءَأَمْنَا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٦].

فَلَا بُدَّ مِنَ التَّصْدِيقِ بِالْقَلْبِ، وَلَا بُدَّ مِنَ النُّطْقِ بِاللِّسَانِ: ﴿قُولُوا ءَأَمْنَا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَمَرْتُ أَنْ أَقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَإِذَا قَالُوهَا وَصَلُّوهَا صَلَاتِنَا، وَاسْتَقْبَلُوهَا قِبَلَتِنَا، وَذَبَحُوا ذَبِيحَتِنَا، فَقَدْ حَرَمْتَ عَلَيْنَا دِمَاؤَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحَسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ».

دَلِيلُ الْجَوَارِحِ: قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ﴾ [البينة: ٥].

﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْإِيْمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ

هُدًى﴾ [محمد: ١٧].

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الأنفال: ٢-٣].

وَرَوَى ابْنُ حِبَّانَ فِي «صَحِيحِهِ» عَنْ أَبِي أَمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَتُنْقِضَنَّ عَرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةٌ عُرْوَةٌ، فَكُلَّمَا انْتَقِضَتْ عُرْوَةٌ تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالتِّي تَلِيهَا، فَأَوْلَهُنَّ نَقْضُ الْحُكْمِ، وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ».

هَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ ذَهَابَ الْأَعْمَالِ هُوَ ذَهَابُ الْإِسْلَامِ.

إِذْنُ:

وَقُلْ: إِنَّمَا الْإِيْمَانُ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ وَفِعْلٌ عَلَى قَوْلِ النَّبِيِّ مُصْرَحٌ وَيَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي وَتَارَةً بِطَاعَتِهِ يَنْمِي وَفِي الْوِزْنِ يُرْجَحُ

فَالْمُرْجِيَّةُ: وَهُمْ الطَّرْفُ الثَّانِي الْمُقَابِلُ لِلْخَوَارِجِ، أَرْجَوْا أَي: أَخْرَوْا الْأَعْمَالَ عَنِ مُسَمَّى الْإِيْمَانِ، وَاشْتَرَكُوا فِي ذَلِكَ.

فَالْمُرْجِيَّةُ - وَإِنْ اخْتَلَفُوا فِي تَعْرِيفِ الْإِرْجَاءِ، وَفِي مُعْتَقَدِهِمْ - مُجْمَعُونَ عَلَى إِخْرَاجِ الْأَعْمَالِ مِنْ مُسَمَّى الْإِيْمَانِ، حَتَّى مُرْجِيَّةُ الْفُقَهَاءِ وَهُمْ أَخْفَهُمْ إِرْجَاءً يُخْرِجُونَ الْأَعْمَالَ مِنْ مُسَمَّى الْإِيْمَانِ، مَعَ أَنَّ الْإِيْمَانَ قَوْلٌ وَعَمَلٌ.

الإِيمَانُ: اعْتِقَادُ بِالْجَنَانِ، وَنُطْقُ بِاللِّسَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ، يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، وَيَنْقُصُ بِالْمَعْصِيَةِ.

وَلَيْسَ الإِيمَانُ بِالْقَلْبِ فَقَطُ كَمَا تَقُولُ الْأَشَاعِرَةُ، أَوْ الَّذِينَ يَقُولُونَ إِنَّ الإِيمَانَ هُوَ الإِعْتِقَادُ بِالْقَلْبِ مَعَ النُّطْقِ بِاللِّسَانِ كَمَا يَقُولُ الْأَخَنَافُ، أَوْ هُوَ النُّطْقُ بِاللِّسَانِ فَحَسْبُ كَمَا يَقُولُ الْكِرَامِيَّةُ، أَوْ هُوَ مُجَرَّدُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَلْبِ كَمَا تَقُولُهُ الْجَهْمِيَّةُ. فَيَلْزِمُ عَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ الْخَبِيثِ أَنْ يَكُونَ فِرْعَوْنُ مُؤْمِنًا، إِذَا كَانَ مُجَرَّدُ الْمَعْرِفَةِ بِالْقَلْبِ يَكُونُ إِيْمَانًا؛ فَإِنَّ فِرْعَوْنَ كَانَ يَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ الآيَاتِ عَلَى مُوسَى عليه السلام؛ بِدَلِيلِ قَوْلِ مُوسَى لَهُ: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَمَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بَصَائِرَ﴾ [الإسراء: ١٠٢].

فَهُوَ مُعْتَرِفٌ بِهَذَا بِقَلْبِهِ، فَهَلْ يَكُونُ مُؤْمِنًا؟

عَلَى مَذْهَبِ الْجَهْمِيَّةِ يَكُونُ مُؤْمِنًا كَامِلًا الإِيمَانِ، لَكِنَّهُ أَنْكَرَ بِلِسَانِهِ مِنْ بَابِ الْكِبْرِ وَالْبَقَاءِ عَلَى مُلْكِهِ، وَاسْتَكْبَارًا عَمَّا جَاءَ بِهِ مُوسَى عليه السلام.

بَلِ الْمُشْرِكُونَ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ الْمَأْمُونِ عليه السلام كَانُوا يُقِرُّونَ بِقُلُوبِهِمْ مُعْتَرِفِينَ بِأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزَنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣].

هُمُ لَا يُكَذِّبُونَكَ، يَعْلَمُونَ أَنَّكَ صَادِقٌ فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّكَ النَّبِيُّ الْخَاتَمُ، وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ، هُمْ لَا يُكَذِّبُونَ

الرَّسُولَ، وَلَكِنْ حَمَلَهُمْ عَلَى مُخَالَفَتِهِ الْجُحُودَ وَالْكَبْرَ وَالْإِسْتِكْبَارَ عَنِ الْحَقِّ،
وَالْعَصِيَّةَ لِلْبَاطِلِ، كَمَا حَمَلَ أَبَا طَالِبٍ عَمَّ الرَّسُولِ ﷺ؛ فَإِنَّ أَبَا طَالِبٍ كَانَ
يَمْدَحُ رَسُولَ اللَّهِ، وَيَمْدَحُ دِينَ الْإِسْلَامِ.

مِنْ شِعْرِ أَبِي طَالِبٍ:

وَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ
مِنْ خَيْرِ أَدْيَانِ الْبَرِيَّةِ دِينًا

هُوَ يَمْدَحُ دِينَ الْإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، وَكَانَ يَمْدَحُ النَّبِيَّ الْأَمِينَ ﷺ، لَكِنْ لَمْ
يَتَّبِعْهُ، وَمَاتَ عَلَى مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ.. عَلَى الشُّرْكِ، وَصَارَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ مَعَ أَنَّهُ
يَعْتَرِفُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ حَقٌّ، وَلَكِنَّهُ قَالَ:

لَوْلَا الْمَلَامَةُ أَوْ حَذَارُ مَسَبَّةٍ
لَرَأَيْتَنِي سَمَحًا بِذَلِكَ مُبِينًا

فَامْتَنَعَ مِنْ اتِّبَاعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ حَمِيَّةً لِذَيْنِ آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ، فَمَنَعَتْهُ الْحَمِيَّةُ -
وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ- فَمَاتَ عَلَى الْكُفْرِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَلَى الْحَقِّ، وَيَعْتَقِدُ هَذَا.
فَعَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ الْبَاطِلِ يَلْزَمُ أَنْ يَكُونَ مُؤْمِنًا.

وَلَيْسَ الْإِيْمَانُ الْقَوْلُ بِاللِّسَانِ فَحَسْبُ، بِدُونِ اعْتِقَادِ الْقَلْبِ كَمَا يَقُولُ
الْكَرَامِيَّةُ؛ لِأَنَّهُ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ يَكُونُ الْمُتَأَفِّقُونَ مُؤْمِنِينَ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْتَرِفُونَ بِاللِّسَانِ
وَيُنْكِرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَقَدْ حَكَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ
تَحْتَ الْمُشْرِكِينَ، فَقَالَ: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ﴿يَعْنِي: يَتَلَفَّظُ: ﴿ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَيَأْتِيَوْمَ

الْآخِرِ وَمَاهُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨].

يَعْنِي: يَتَلَفَّظُونَ بِالسِّتَةِ، وَيُنْكِرُونَ بِقُلُوبِهِمْ.

وَفِي الْآيَةِ الْأُخْرَى يَقُولُ: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران:

.[١٦٧]

فَمَجَرَّدُ الْقَوْلِ بِاللِّسَانِ لَا يَكْفِي، بَلْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿إِذَا جَاءَكَ
الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ، وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ
لَكَذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١]. فِي أَيِّ شَيْءٍ؟

فِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ، فِيمَا يَدْعُونَ، مَعَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: ﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ﴾ وَهُوَ
يَكْذِبُهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يُفَرِّقُونَ بِذَلِكَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَإِنَّمَا يَقُولُونَ ذَلِكَ بِأَفْوَاهِهِمْ. ﴿اتَّخَذُوا
أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً﴾: يَعْنِي: سِتْرَةً ﴿فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢) ذَلِكَ
بِأَيْمَانِهِمْ أَمَانًا ثُمَّ كَفَرُوا ﴿[المنافقون: ٢-٣] آمَنُوا بِالسِّتَةِ، ثُمَّ كَفَرُوا بِقُلُوبِهِمْ.

فَالنُّطْقُ بِاللِّسَانِ لَا يَكْفِي، وَلَوْ اعْتَرَفَ الْإِنْسَانُ حَتَّى وَلَوْ قَاتَلَ وَجَاهَدَ مَعَ
الْمُسْلِمِينَ، وَلَوْ صَلَّى وَصَامَ لَا يَكْفِي هَذَا حَتَّى يَعْتَقِدَ بِقَلْبِهِ مَا نَطَقَ بِهِ بِلِسَانِهِ.

كَذَلِكَ الْإِيمَانُ لَيْسَ كَمَا يَقُولُ مُرْجئةُ الْفُقَهَاءِ، وَهُمْ يَقُولُونَ: الْإِيمَانُ هُوَ
قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَاعْتِقَادٌ بِالْقَلْبِ؛ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَمَا صَارَ لِلْأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي
فَائِدَةٌ، يَكْفِي أَنَّ الْإِنْسَانَ يَعْتَقِدُ بِقَلْبِهِ، وَيَنْطِقُ بِلِسَانِهِ، وَلَوْ لَمْ يُصَلِّ، وَلَوْ لَمْ يَصُمْ.

وَهَذَا مَذْهَبُ بَاطِلِ بِلَا شَكٍّ؛ لِأَنَّهُ يُعْطَلُ الْأَعْمَالُ كُلُّهَا، وَاللَّهُ تَعَالَى قَرَنَ
الْعَمَلَ بِالْإِيمَانِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ: ﴿ءَامِنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥]

و٨٢ و٢٧٧]، [آل عمران: ٥٧]، [النساء: ٥٧]، وَلَمْ يَقُلْ آمَنُوا فَقَطُّ، أَوْ عَمَلُوا الصَّالِحَاتِ فَحَسَبُ، بَلْ لَا بُدَّ مِنَ الْإِثْنَيْنِ مَعًا، فَلَا يَكْفِي الْعَمَلُ بِدُونِ إِيمَانٍ، وَلَا يَكْفِي الْإِيمَانُ بِدُونِ عَمَلٍ، فَالْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ قَرِينَانِ، وَهَذَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ.

وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَاعْتِقَادٌ بِالْجَنَانِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ: حَدِيثُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «الْإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا قَوْلٌ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ - هَذَا قَوْلٌ -، أَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ - هَذَا عَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ -، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ - هَذَا لِأَجْلِ الْقَلْبِ -».

فَلَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ: قَوْلٌ بِاللِّسَانِ.

الْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ: هَذَا مِنْ أَعْمَالِ الْقُلُوبِ.

إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ: هَذَا مِنْ أَعْمَالِ الْجَوَارِحِ.

فَدَلَّ الْحَدِيثُ - وَهُوَ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ - عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَاعْتِقَادٌ وَعَمَلٌ.

وَهُوَ يَزِيدُ بِالطَّاعَةِ، كَمَا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْآيَاتِ: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢]. آيَاتٌ كَثِيرَةٌ تُثَبِّتُ أَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ.

يَنْقُصُ - أَيضًا - بِالْمَعَاصِي، كَمَا فِي حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ؛ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ

أَضْعَفُ الْإِيمَانِ». فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ يَضْعُفُ، فَالَّذِي لَا يُنْكِرُ الْمُنْكَرَ لَا بِيَدِهِ وَلَا بِلِسَانِهِ، هَذَا ضَعِيفُ الْإِيمَانِ، وَالَّذِي لَا يُنْكِرُ لَا بِيَدِهِ وَلَا بِلِسَانِهِ وَلَا بِقَلْبِهِ هَذَا لَيْسَ فِي إِيْمَانٍ أَصْلًا، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الْإِيمَانِ حَبَّةٌ خَرْدَلٍ.

فَالنَّبِيُّ ﷺ دَلَّنَا عَلَى أَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَهَذَا اعْتِقَادُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فِي الْإِيمَانِ، وَقَدْ ضَلَّ فِيهِ أَقْوَامٌ، وَزَلَّتْ فِيهِ عَنِ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ أَقْدَامٌ، وَعَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُحَرَّرَ الْعَقِيدَةَ تَحْرِيرًا صَحِيحًا، حَتَّى لَا يَكُونَ مِنْ إِحْدَى الْفِرَقِ الضَّالَّةِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ.

يَعْنِي: الَّذِي يَقُولُ إِنَّ الْأَعْمَالَ - وَكَثِيرٌ مِنَ الْعَوَامِّ يَقُولُونَ ذَلِكَ بِغَيْرِ عِلْمٍ، يَعْنِي هُمْ لَيْسُوا مُرْجَّةً بِالْمَعْنَى الْإِضْطِلَاحِيَّةِ، وَلَكِنَّهُمْ مُرْجَّةٌ مِنْ حَيْثُ الْعَمَلُ، لَا يَعْتَقِدُونَ مَذْهَبَ الْإِرْجَاءِ اعْتِقَادًا مَبْنِيًّا عَلَى عِلْمٍ يَعْنِي بَحْثًا وَنَظْرًا وَاخْتِيَارًا، وَلَكِنَّهُمْ يَأْتُونَ بِالْإِرْجَاءِ عَمَلًا-، وَتَسْمَعُ كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَهُونُ مِنْ شَأْنِ الْأَعْمَالِ: شَأْنِ الصَّلَاةِ، وَشَأْنِ الزَّكَاةِ، وَشَأْنِ الْحَجِّ، لَا يَلْتَفِتُونَ إِلَى هَذِهِ الْفَرَائِضِ الَّتِي فَرَضَهَا اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا، فَيَكُونُونَ وَاقِعِينَ فِي هَذِهِ الْبِدْعِ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ.

وَأَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ تَسْتَقِيمُ عَقِيدَتُهُمْ، فَتَسْتَقِيمُ أَعْمَالُهُمْ، فَيَعْلَمُونَ أَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ وَنِيَّةٌ وَفِعْلٌ؛ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وَيَعْتَقِدُونَ: أَنَّ الْإِيمَانَ يَنْقُصُ طَوْرًا بِالْمَعَاصِي، وَتَارَةً بِطَاعَتِهِ يَنْبِي، وَفِي الْوِزْنِ يَرْجَحُ، بَلْ إِنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ يَعْلَمُ مِنْ حَالِهِ أَنَّ إِيْمَانَهُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، فَالْإِنْسَانُ

إِذَا كَانَ فِي الْمَسْجِدِ مُعْتَكِفًا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مُلْتَمِسًا لَيْلَةَ الْقَدْرِ مُقْبِلًا عَلَى رَبِّهِ
بَعِيدًا عَنْ أَهْلِهِ وَوَلَدِهِ، وَمُقْبِلًا عَلَى عِبَادَةِ سَيِّدِهِ وَمَوْلَاهُ، وَتَالِيًا لِكِتَابِهِ، إِلَى غَيْرِ
ذَلِكَ مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَى الطَّاعَاتِ يَجِدُ زِيَادَةً فِي إِيمَانِهِ، وَحَالُهُ تَكُونُ أَحْسَنَ مِنْ
حَالِهِ فِي السُّوقِ.. فِي تِجَارَتِهِ.. فِي صِنَاعَتِهِ.. فِي حِرْفَتِهِ.. فِي تَعَامُلِهِ مَعَ أَهْلِهِ فِي
وَسْطِ الْمَشَاكِلِ وَالْخُطُوبِ وَالْأَحْوَالِ.

كَذَلِكَ إِذَا ذَهَبَ الْإِنْسَانُ إِلَى الْحَجِّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ فِي
حَالٍ وَقُوفِهِ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِعَرَفَاتٍ يَدْعُو رَبَّهُ وَقَدْ فَرَّغَ قَلْبَهُ، وَأَنَابَ وَسَكَنَ لِسِيْدِهِ،
وَابْتَهَلَ إِلَى مَوْلَاهُ، لَا شَكَّ أَنَّهُ يَجِدُ زِيَادَةً فِي إِيمَانِهِ، وَهَذِهِ الزِّيَادَةُ يَجِدُ نَقْصًا مِنْهَا
عِنْدَمَا يَعُودُ إِلَى سَائِرِ أَحْوَالِهِ.

فَكُلُّ إِنْسَانٍ يَجِدُ الْإِيمَانَ فِي قَلْبِهِ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، النَّاسُ يَعْتَقِدُونَ ذَلِكَ
وَيَعْلَمُونَهُ.



التَّحذِيرُ مِنْ تَقْدِيمِ آرَاءِ الرِّجَالِ عَلَى قَوْلِ الرَّسُولِ ﷺ

لَمَّا فَرَعَ مِنْ هَذَا كُلهِ رَحْمَةُ اللهِ أَتَى بِنَصِيحَةٍ فِي خِتَامِ الْمَنْظُومَةِ فَقَالَ:

وَدَعَّ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلُهُمْ
وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَهُوا بِدِينِهِمْ
إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِبَ هَذِهِ
أَزْكَى وَأَشْرَحُ: الرِّكَاءُ: النَّماءُ.
الشَّرْحُ: البَسْطُ.

وَشَرَحُ الصَّدْرِ: بَسَطُ بِنُورِ إلهِي، وَسَكِينَةٌ مِنْ جِهَةِ اللهِ، وَرَوْحٌ مِنْهُ.

فَمُتَابَعَةُ قَوْلِ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْمَى لِلإِيمَانِ فِي القَلْبِ، وَأَسْكَنُ لِلقَلْبِ؛ قَالَ
تَعَالَى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح: ١].

وَدَعَّ عَنْكَ آرَاءَ الرِّجَالِ وَقَوْلُهُمْ
وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَهُوا بِدِينِهِمْ
فَتَطْعَنُ
مِنْ طَعَنَ وَالطَّعَنُ: الضَّرْبُ وَالْوَحْزُ..

فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَتَقْدَحُ: وَفِيهِ مِنَ الْأَذَى مَا فِيهِ؛ فَالطَّعْنُ بِالرُّمْحِ فِيهِ أَذَى لِلْبَدَنِ، وَطَعْنُ الْمَرْءِ لِغَيْرِهِ فِيهِ أَذَى لِلنَّفْسِ.

وَأَهْلُ الْحَدِيثِ: أَصْحَابُ الْحَدِيثِ الَّذِينَ اشْتَغَلُوا بِهِ رِوَايَةً وَدِرَايَةً، أَهْلُ الْحَدِيثِ صَارُوا لِقَبًا لِأَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ؛ لِتَوْقِيرِهِمْ لِحَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ لِأَنَّهُ قَسِيمُ الْوَحْيِ، وَتَقْدِيمِهِ عَلَى الْهَوَى وَالرَّأْيِ.

إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ: أَيِ: الزَّمَنَ، وَقَدْ وَهَمَ مَنْ عَدَّ الدَّهْرَ اسْمًا مِنْ أَسْمَاءِ اللَّهِ جَلَّ وَعَلَا؛ فَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ: يَسُبُّ بَنُو آدَمَ الدَّهْرَ، وَأَنَا الدَّهْرُ بِيَدِي اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ».

وَقَدْ عَبَّ اللَّهُ تَعَالَى مَنْ يَعْتَقِدُ أَنَّ الدَّهْرَ هُوَ الزَّمَنُ، وَأَنَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ، فَقَالَ تَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البجائية: ٢٤]. فَكَيْفَ يَكُونُ الدَّهْرُ اسْمًا مِنْ أَسْمَاءِ تَعَالَى؟

وَاللَّهُ يُنْكِرُ عَلَيْهِمْ قَوْلَهُمْ: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ﴾: يَعْنِي الزَّمَنَ. يَقُولُ:

إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِ: أَيِ: يَا صَاحِبِي عَلَى التَّرْخِيمِ.

فَخْتَمَ رَحْمَةُ اللَّهِ حَاثِيَتَهُ بِوَصِيَّةٍ غَالِيَةٍ نَفِيسَةٍ حَذَرَ فِيهَا مِنْ مُتَابَعَةِ آرَاءِ الرِّجَالِ، وَتَرَكَ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَكَمَ مِنْ غَوِيٍّ وَضَالٍّ وَمَتَهَوِّكٍ قَدْ ضَلُّوا الطَّرِيقَ لِهَوَى، أَوْ لِرَأْيٍ رَاوَهُ!!

وَقَدْ حَذَرْنَا اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا مِنْ مُتَابَعَةِ الْهَوَىٰ وَتَرْكِ الْوَحْيِ؛ ﴿وَلَا نُطِيعُ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَأَتَّبَعَ هَوْنَهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكَيْلًا﴾ [الفرقان: ٤٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [الفصص: ٥٠].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوْنَهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ عِشْوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجنات: ٢٣].

فَحَذَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنَ الرَّأْيِ وَمِنَ الْقَدْحِ فِي الْحَدِيثِ وَأَهْلِهِ.

لَا تَبْنِ دِينَكَ وَعَقِيدَتَكَ عَلَى الْأَرَاءِ الْمُتَكَلِّفَةِ، وَالْأَقْوَالِ الْمُحَدَّثَةِ، بَلِ ابْنِ دِينَكَ وَعَقِيدَتَكَ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ ففِيهِمَا السَّلَامَةُ وَالْعِصْمَةُ، فَقَدْ جَاءَ عَنِ السَّلَفِ رَحِمَهُمُ اللَّهُ - نَقُولُ كَثِيرَةً فِي التَّحْذِيرِ مِنَ الْأَرَاءِ، وَذَمِّ الرَّأْيِ وَأَهْلِهِ، مِنْ ذَلِكَ:

قَوْلُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِيَّاكُمْ وَأَصْحَابَ الرَّأْيِ؛ فَإِنَّهُمْ أَعْدَاءُ الدِّينِ، أَعَيْتَهُمُ السُّنَّةُ أَنْ يَحْفَظُوهَا فَأَعْمَلُوا عُقُولَهُمْ».

وَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لَوْ كَانَ الدِّينُ يُؤْخَذُ بِالرَّأْيِ؛ لَكَانَ مَسْحُ بَاطِنِ الْخَفِّ أَوْلَىٰ مِنْ مَسْحِ ظَاهِرِهِ!».

وَالْمُرَادُ بِالرَّأْيِ هُنَا: الرَّأْيُ الْمَذْمُومُ الْقَائِمُ عَلَى الْحَدْسِ وَالظَّنِّ وَالْعَقْلِ الْمَجْرَدِ مَعَ تَعْطِيلِ النَّصُوصِ وَإِهْمَالِهَا، وَالصُّدُودِ عَنْهَا وَالْإِعْرَاضِ، وَهُوَ الرَّأْيُ الَّذِي أُحْدِثَتْ بِهِ الْبِدْعَةُ، وَأُنْشِئَتْ بِهِ الضَّلَالَاتُ، وَعُطِّلَتْ بِهِ الْأَسْمَاءُ وَالصِّفَاتُ.

فَمَثَلُ هَذِهِ الْأَرَءِ الْعَاطِلَةِ، وَالتَّقْرِيرَاتِ الْبَاطِلَةِ لَا يَنْبَغِي لِمُسْلِمٍ أَنْ يُرْعِيَهَا بِالْهَ، بَلِ الْوَاجِبُ أَنْ تُطْرَحَ، وَأَنْ يُحْذَرَ مِنْهَا، وَأَلَّا يُغْتَرَّ بِتَزْيِينِ أَهْلِ الْبَاطِلِ لَهَا؛ قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: «عَلَيْكَ بِالْأَثْرِ، وَإِنْ رَفَضَكَ النَّاسُ، وَإِيَّاكَ وَآرَاءَ الرَّجَالِ، وَإِنْ زَخَرَفُوهُ لَكَ بِالْقَوْلِ؛ فَإِنَّ الْأَمْرَ يَنْجَلِي وَأَنْتَ عَلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمٍ».

دَعْنَا عَنْكَ آرَاءَ الرَّجَالِ وَقَوْلَهُمْ: وَقَابَلْ مَا ذَكَرَهُ مِنَ التَّحْذِيرِ بِمَا دَلَّكَ عَلَيْهِ مِنَ النَّمَاءِ وَالطُّهْرِ.

فَقَوْلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَزْكَى: أَطْهَرُ، وَأَنْقَى وَأَخْلَصُ، وَأَشْرَحُ لِلصِّدْرِ وَلِلْفُؤَادِ وَلِلْقَلْبِ، وَأَدْعَى لِلطَّمَانِينَةِ.

وَلَا تَكُ مِنْ قَوْمٍ تَلَّهَوْا بِدِينِهِمْ: وَهَذَا الْبَيْتُ فِي غَايَةِ التَّنَاسُقِ مَعَ الَّذِي قَبْلَهُ؛ حَيْثُ أَشَادَ النَّاطِمُ فِي الْبَيْتِ الْأَوَّلِ ضِمْنًا بِحَمَلَةِ السُّنَّةِ، وَنَقَلَةَ الْحَدِيثِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ.

فَهُؤُلَاءِ خَيْرُ النَّاسِ وَأَفْضَلُهُمْ، لَيْسَ عِنْدَهُمْ آرَاءُ مَنْطِقِيَّةٌ، وَلَا فَلْسَفَاتٌ عَقْلِيَّةٌ، وَلَا أَقْوَالٌ مُتَكَلِّفَةٌ، وَإِنَّمَا الَّذِي عِنْدَهُمْ تَمَسُّكٌ بِالنُّصُوصِ، وَالتَّزَامٌ بِالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ.

ثُمَّ حَذَرَ فِي هَذَا الْبَيْتِ مِنْ طَرِيقِ أَهْلِ اللَّهْوِ وَالْبَاطِلِ الَّذِينَ يَطْعُنُونَ فِي هَوْلَاءِ الْأُئِمَّةِ الْأَفْذَادِ، وَالْعُلَمَاءِ الْأَمَّاجِدِ.

وَلَا تَكُ: احْذَرِ أَنْ تَكُونَ يَا صَاحِبَ السُّنَّةِ، وَيَا مَنْ هَدَاكَ اللَّهُ إِلَى لُزُومِ هَدْيِ خَيْرِ الْأُمَّةِ مِنْ قَوْمٍ تَلَهَّوْا بِدِينِهِمْ، مِمَّنِ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا. وَهَذَا شَامِلٌ لِأَهْلِ الْبِدْعِ وَالْأَهْوَاءِ، وَأَهْلِ الْفِسْقِ وَالْفُجُورِ؛ فَإِنَّ الْجَمِيعَ يَشْتَرِكُونَ فِي ذَلِكَ بَيْنَ مُقِلٍّ وَمُسْتَكْتَرٍ؛ بِسَبَبِ جَهْلِهِمْ بِالسُّنَّةِ، وَمَنْ جَهَلَ شَيْئًا عَادَاهُ.

فَتَطْعَنُ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَتَقْدَحُ: وَهِيَ نَتِيجَةُ اتِّخَاذِ الدِّينِ لَهْوًا وَلَعِبًا: أَنْ يَسْخَرَ بِأَهْلِ الْحَقِّ، وَيَتَهَكَّمُ بِالْمُتَمَسِّكِينَ بِالسُّنَّةِ، وَيَقَعُ فِي أَهْلِ الْخَيْرِ وَالْفَضْلِ وَالنُّبْلِ، وَهَذَا حِيلَةُ الْمَفَالِيسِ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَأَوَانٍ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المطففين: ٢٩-٣١].

وَلَوْ الْقَوْمُ أَهْلُ حَقٍّ وَحُجَّةٍ لَنَافَحُوا عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ بِالْبُرْهَانِ، وَلَقَابَلُوا الْحُجَّةَ بِالْحُجَّةِ، وَالذَّلِيلَ بِالذَّلِيلِ، وَلَكِنْ لَا حِيلَةَ لِلْعَاطِلِ الْمُفْلِسِ إِلَّا أَنْ يَتَهَكَّمُ وَيَسْخَرَ وَيَسْتَهْزِئَ.

وَمِنْ عَلَامَاتِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدْعِ: الْوَقِيعَةُ فِي أَهْلِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ، وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْعُتُوقِ وَأَشَدِّ اللَّوْمِ؛ إِذْ أَهْلُ الْحَدِيثِ لَمْ يَأْتِ مِنْهُمْ سِوَى الْأَيَادِي الْبَيْضَاءِ، وَالْجَمِيلِ وَالْإِحْسَانِ.

وَأَهْلُ السُّنَّةِ وَأَهْلُ الْحَدِيثِ لَا يُشْتَرَطُ أَنْ يَكُونَ الرَّجُلُ مِنْهُمْ مِنْ أَهْلِ
الرِّوَايَةِ وَالِدِّرَايَةِ؛ فَإِنَّ الْفِرْقَةَ النَّاجِيَةَ، وَالطَّائِفَةَ الْمَنْصُورَةَ مِنْهُمْ الْعَالِمِ، وَمِنْهُمْ
التَّاجِرُ، وَمِنْهُمْ الْمُجَاهِدُ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَفْلِحُ الْأَرْضَ.. إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، وَلَكِنْ عَلَى
مُعْتَقِدِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

فَلَيْسَ شَرْطًا لِكَيْ يَكُونَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا
بِالْحَدِيثِ رِوَايَةً وَدِرَايَةً، وَلَكِنْ أَنْ يَكُونَ عَلَى عَقِيدَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ،
وَالْعَامِّيِّ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ يَغْلِبُ مِثَّةَ عَالِمٍ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعَةِ!

الرَّجُلُ الْعَامِّيُّ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ الَّذِي لَيْسَ بِطَالِبِ عِلْمٍ، وَلَيْسَ
بِعَالِمٍ، وَلَكِنْ عَلَى مُعْتَقِدِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ فَإِنَّهُ يَغْلِبُ مِثَّةَ عَالِمٍ، بَلْ أَلْفَ
عَالِمٍ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْبِدْعَةِ؛ لِأَنَّهُمْ لَيْسَ عِنْدَهُمْ حُجَّةٌ وَلَا بُرْهَانٌ.

إِذَا مَا اعْتَقَدْتَ الدَّهْرَ يَا صَاحِبَ هَذِهِ فَأَنْتَ عَلَى خَيْرِ تَبِيْتٍ وَتُصْبِحُ

هَذَا الْخِتَامُ يَقُولُ فِيهِ: إِذَا اعْتَقَدْتَ مَا جَاءَ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ كُلِّ حَيَاتِكَ أَوْ
عِنْدَ خَاتِمَةِ حَيَاتِكَ، فَأَنْتَ عَلَى خَيْرٍ فِي الْعَاجِلِ وَالْآجِلِ.

أَمَّا أَنْ تَعْتَقِدَ ذَلِكَ فِتْرَةً، ثُمَّ تَتْرَكَهُ وَتُهْمِلَهُ، فَهَذَا لَا يَنْفَعُكَ شَيْئًا، لَا بُدَّ مِنَ
الِاسْتِمْرَارِ عَلَى هَذِهِ الْعَقِيدَةِ فِي كُلِّ حَيَاتِكَ إِلَى أَنْ تَمُوتَ عَلَيْهَا، أَمَّا مَنْ اعْتَقَدَهَا
فِي الْأَوَّلِ، ثُمَّ تَرَاجَعَ عَنْهَا، فَهَذَا يَهْلِكُ مَعَ الْهَالِكِينَ!

يَا صَاحٍ: أَصْلُهُ: يَا صَاحِبِي، وَرُحْمَ، وَالتَّرْحِيمُ: أَنْ يُحْذَفَ آخِرُ الْمُنَادَى،
كَمَا قَالَ ابْنُ مَالِكٍ:

تَرْخِيمًا أَحْذَفَ آخِرَ الْمُنَادَى كَيَا سَعَالِمَنْ دَعَا سَعَادًا

فَالْأَصْلُ: يَا صَاحِبِي، ثُمَّ حُذِفَ فَقَالَ: يَا صَاحٍ.

فَأَنْتَ عَلَيَّ خَيْرٌ تَيْتُ وَتُصْبِحُ: جَزَى اللَّهُ تَعَالَى النَّاطِمَ عَنِ الْإِسْلَامِ
وَالْمُسْلِمِينَ خَيْرًا، وَنَفَعَنَا اللَّهُ تَعَالَى بِمَا ذَكَرَهُ، وَثَبَّتَنَا اللَّهُ تَعَالَى وَإِيَّاكُمْ عَلَيْهِ حَتَّى
نَلْقَى اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلَيْهِ.

هُنَاكَ زِيَادَةٌ وَهِيَ:

هَذَا اعْتِقَادُ الشَّافِعِيِّ وَمَالِكٍ وَأَبِي حَنِيفَةَ ثُمَّ أَحْمَدَ يُنْقَلُ

عَلَى أَنَّهُ اعْتِقَادُ الْأَيْمَةِ الْأَرْبَعَةِ.

فَإِنْ اتَّبَعْتَ سَبِيلَهُمْ فَمُوفَّقٌ وَإِنْ ابْتَدَعْتَ فَمَا عَلَيْكَ مُعْوَلٌ

وَبَعْدَ أَنْ ذَكَرَ هَذَا كُلَّهُ رَحِمَهُ اللَّهُ، هَذَا اعْتِقَادِي، وَاعْتِقَادُ أَبِي، وَاعْتِقَادُ أَحْمَدَ بْنِ
حَنْبَلٍ رَحِمَهُ اللَّهُ وَاعْتِقَادُ الْأَيْمَةِ، نَسَأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُحْيِيَنَا مُسْلِمِينَ، وَأَنْ يَتَوَفَّانَا
مُؤْمِنِينَ، وَأَنْ يُلْحِقَنَا بِالصَّالِحِينَ، وَأَنْ يَجْمَعَنَا مَعَ النَّبِيِّ الْأَمِينِ؛ إِنَّهُ تَعَالَى هُوَ
أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ.

خَاتِمَةٌ

وَبَعْدُ:

فَهَذَا مَا مَنَّ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ جَمْعٍ لِأَقْوَالِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وَتَحْرِيرِ لَهَا، وَنَظَرٍ فِيهَا فِي شَرْحِ حَائِيَّةِ أَبِي بَكْرٍ بْنِ أَبِي دَاوُدَ رَحِمَهُ اللَّهُ، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ -بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ وَتَوْفِيقِهِ، وَعَطَائِهِ وَمَنَّتِهِ- فِي مَجَالِسَ:

أَوَّلُهَا: فِي يَوْمِ الْأَحَدِ الْخَامِسِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةِ تِسْعِ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ وَأَلْفٍ مِنْ هِجْرَةِ سَيِّدِ وَلَدِ آدَمَ نَبِينَا مُحَمَّدٍ ﷺ، الْمُوَافِقِ لِلْعَاشِرِ مِنْ شَهْرِ يُونِيُو سَنَةِ ثَمَانِي عَشْرَةَ، وَالْفَيْنِ مِنَ التَّارِيخِ الصَّلِيْبِيِّ.

وَكَانَ الْفَرَاغُ مِنْ ذَلِكَ -بِفَضْلِ اللَّهِ وَرَحْمَتِهِ وَعَطَائِهِ تَعَالَى وَمَنَّتِهِ- فِي لَيْلَةِ الْخَمِيسِ التَّاسِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةِ تِسْعِ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ وَأَلْفٍ، الْمُوَافِقِ لِلرَّابِعِ عَشَرَ مِنْ يُونِيُو سَنَةِ ثَمَانِي عَشْرَةَ وَالْفَيْنِ مِنَ التَّارِيخِ الصَّلِيْبِيِّ.

وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ -بِفَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى وَنِعْمَتِهِ، وَعَطَائِهِ وَمَنَّتِهِ، وَحَوْلِهِ وَطَوْلِهِ وَقُوَّتِهِ- فِي الْمَسْجِدِ الشَّرْقِيِّ، بِسُبُكِ الْأَحَدِ، مِنْ أَعْمَالِ مُحَافَظَةِ الْمُنُوفِيَّةِ بِمِصْرَ، حَفِظَهَا اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْبَدْعِ وَالشُّرْكِ، وَالْإِلْحَادِ وَالزَّيْغِ وَسَائِرِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ؛ إِنَّهُ تَعَالَى هُوَ الْبَرُّ الْكَرِيمُ، وَالْجَوَادُ الرَّحِيمُ.

وَصَلَّى اللهُ تَعَالَى وَسَلَّمَ عَلَيَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آبَوَيْهِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ،
وَعَلَىٰ سَائِرِ الْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَالْآلِ وَالصَّحْبِ أَجْمَعِينَ.

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا؛ إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، وَتُبْ عَلَيْنَا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا؛ إِنَّكَ
أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ.

وَصَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ، وَآخِرُ
دَعْوَانَا: أَنْ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.



جامعة

مِنْهَاجُ النَّبِيِّ

www.menhag-un.com